مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163 -1112
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

من دلالات مصطلح " الحَرْف" في التراث اللّساني العربي

محمد ولدالي

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة يحي فارس المدية -المدية – الجزائر
oulddali.mohamed@yahoo.com

الملخص -

مما شاع عند بعض الباحثين المستشرقين، ومَنْ تَبِعهم من العرب، أن اللسانيين العرب القدامى، لم يكونوا يُفرِّقون - في دراسة اللغة العربية - بين الوجه المنطوق والوجه المكتوب، كما أنهم لم يُفرِّقوا بين الوحدة الصوتية وبين الصوت، كما تُفرِّق اللسانيات الحديثة، مُستدلِّين على ذلك بإطلاق القدماء مصطلح **"الحرف"** على ذينك المفهومين، وعلى الرَّمز الخطي المكتوب في آنٍ واحد. غير أن الرجوع إلى مظان البحث اللساني في تراثنا يُثبت خلاف ذلك، فقد عرف اللسانيون العرب القدماء تمييزا واضحا بين هذه المفاهيم، بصورةٍ لا تختلف كثيراً عمَّا عرفتْهُ اللسانيات الحديثة، وإطلاق مصطلح **"الحرف"** على تلك المفاهيم، ما هو إلا اشتراك لهذه المفاهيم في مصطلح واحد.

المصطلحات المفتاحية: الوحدة الصوتية، الصوت، الحرف، المنطوق، المكتوب.

Abstract-

It is prevalent among some Orientalist researchers, and who follows them from the Arabs, that ancient Arab linguists did not distinguish, in their studies of Arabic language, between the spoken and the written form. Also, at their claim, ancient Arab linguists did not differentiate between phonological and phonetic units (Phoneme Vs Sound). They base their judgment on the idea that ancient Arab linguists used one term (which is "character" (**Harf**) to designate not only these two different concepts (Phoneme & Sound), but rather to denominate a third concept (**Grapheme**) which belongs to the written aspect of language.

However, the return to « real » Arabic heritage proves otherwise; Ancient Arabs have, clearly, distinguished between these concepts. Their use of term "character" (Harf) to denote these different concepts is only homonymous.

Key terms: **Phonological unit**, **Sound**, **Phoneme**, **Spoken form**, **Written form.**

مقدمة:

يرى بعض الباحثين في اللسانيات العربية عموما، وفي حقل الصوتيات بصفة خاصة أنّ الصوتيين العرب - عند دراستهم أصوات اللغة العربية -لم يُفرِّقوا بين الوجه المنطوق، وبين الوجه المكتوب، كما أنهم لم يفرقوا بين **الحرف** باعتباره كِياناً مُجرَّداً، وبين **الصوت** المنْجَز في الواقع أثناء الكلام، ودليلهم على ذلك هو إطلاقُ اللسانيين العرب مصطلحَ **الحرف** على الصوت تارة، وعلى الرمز الخطي تارة أخرى. ومن هؤلاء الباحثين نذكر – على سبيل المثال – الدكتور تمام حسان الذي قال :"... ومن الواضح أن سيبويه - مع تفريقه بين أصول الحروف وفروعها - لم يكن يُفرِّق بين اصطلاحي **"الحرف"** و**"الصوت"**، على نحو ما يُفرِّق علم اللغة الحديث بين اصطلاحي: (phoneme) و(sound أو allophone)، فالحرف لديه يشمل ذلك كله ..." [1] الخ.

ويتضح من خلال استقراء هذه الآراء أن أصل هذه الفكرة يعود إلى ما كتبه بعض المستشرقين، وتبعهم في ذلك بعض الباحثين العرب، وهذا ما يتبيَّن من قول الدكتور خليل إبراهيم العَطِيَّه: "... يُرادُ بأصوات اللغة العربية حُروفُها، وهو مصطلحٌ درج عليه علماء العربية، وقد نعى فريق من المستشرقين على سيبويه وسواه من علماء العرب استخدامهم **(الحرف)**، الذي يُتَّخَذ تعبيرا عن الرمز المكتوب، ولِما يُسمع أيضاً، وهذا - على رأيهم – مُجانبةٌ للدقة، ومع ما يبدو على الرعيل الأول من علماء العربية من عدم التفريق بين **(الحرف)**

[1]= تمام حسان – اللغة العربية: معناها ومبناها، ص: 57.

و(**الصوت**)، على نحو ما يُفرِّق الدرس الصوتي الحديث بين (phoneme) و (sound) أو (allophone)، فالحرف لديهم يشمل ذلك كله..."[1]. ثم أضاف قائلا : "... ومهما يكن من أمر، فليس العرب الأوائل وحدهم خلطوا بين (**الحرف**) و (**الصوت**)، فقد ظلَّ كثيرٌ من العلماء الأوروبيين إلى عهد قريب يسلكون المسْلَكَ نفسه..."[2].

وهذا الرأي نجده – أيضا – عند الدكتور عبد العزيز الصيغ، الذي قال:"...فالحرف – إذن – مصطلحٌ لدى علماء العربية للرَّمز الكتابي، والصوت اللغوي، ونظرا لأنَّ اللغات جميعها لا تنطبق كتابتُها على لفظها، بسبب التغيُّر المستَمِر في أصوات هذه اللغات، فإن **الحرف** في العربية هو رمز كتابي **للصوت**، فإذا استُعمل في معنى الصوت، فإن السبب يعود إلى عدم التفريق بين **الرمز الكتابي**، واللفظ أو **الصوت**، وهو ما تشترك فيه جميع اللغات قديما وحديثا، عدا أن الدرس اللغوي الحديث – بسبب تطور الدراسات الصوتية في العصر الحديث – يُفرِّق بين الرمز والصوت، أي بين الحرف والصوت..."[3].

هذا الرأي الذي تكرَّر عند الكثير من الباحثين جعلنا نطرح التساؤل الآتي : **هل فرّق الصوتيون العرب القدامى بوضوح – في دراستهم للغة العربية – بين ما يعود إلى الوجه المنطوق، وبين ما يعود إلى الوجه المكتوب في اللغة العربية ؟ وهل كانوا على دراية بالفرق بين الصوت اللغوي، وبين الرمز الخطي، الذي يمثله من جهة، وبين الوحدة الصوتية ووجوه تحقيقها في الكلام من جهة أخرى ؟ وما هي أهم دلالات مصطلح الحرف في تراثنا اللساني العربي ؟** سنتتبع في هذا المقال تفريق البحث الصوتي الحديث بين الوجه المنطوق والوجه المكتوب في دراسة اللغة، ثم تفريقَه بين مفهومي الوحدة الصوتية والصوت، ثم نتناول نظرة

---

[1]= خليل إبراهيم العطية – في البحث الصوتي عند العرب، ص:31.

[2]= نفس المرجع السابق، ص: 31.

[3]= عبد العزيز الصيغ – المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 219.

اللسانيين العرب القدامى إلى هذه المسائل، لنخلص في الأخير إلى أهم المفاهيم، التي يُطلق عليها مصطلح **"الحرف"** في تراثنا اللساني العربي.

أولا: الوجه المنطوق والوجه المكتوب عند اللسانيين المحدثين: يرى اللسانيون المحدثون أن اللغة في الأصل هي ظاهرة منطوقة مسموعة، يحْكُمُها – على مستوى النطق – نظام خاص، هو النظام الصوتي لتلك اللغة، أما الرموز الخطيِّة التي نستعملها في الكتابة، فما هي إلا محاولة لتثبيت الوجه المنطوق للكلام، خشية زواله بمجرَّد النُّطق به، وهذه الرموز الخطِّية تخضع لنظام خاص بها، هو نظام الكتابة الخاص بتلك اللغة. ومن هنا فهم يُمَيِّزون بين وجهين في اللغة: **الوجه المنطوق** وهـو: "صورةُ اللغة المستَعْمَلة في التخاطب اليومي عند الاتصال الشفهي، في مقابل الوجه المكتوب."[1]. ويُسمَّى أصغر عنصر في الوجه المنطوق للغة – عندهم – بالفونيم (le phonème) أو الوحدة الصوتية، إذا قصدوا ذلك المفهوم المجرَّد، الذي تجتمع تحته كل التأديات الفرعية، التي تنتمي إلى العنصر الصوتي الواحد، والتي يُسمى كلٌّ منها (le son) أو (le phone). أما **الوجه المكتوب** فهو: "مجموع الأشكال الخطية الخاصة، التي نستعملها أثناء الكتابة."[2]. أو هو" نظام من العلامات الخطية، التي يمكن أن تنوب عن الوجه المنطوق القابل للزوال، من أجل تثبيت وحفظ الخطاب والاتصال عن بُعد."[3]، وتُسمى أصغر وحدة مُجرَّدة في الوجه المكتوب بالـــ:(grapheme)، أما صُوَرُ تحقيق هذه الوحدة في واقع الكتابة مثل الحروف الصغيرة: (minuscule) والحروف الكبيرة أو حروف التـــاج: (majuscule)

---

[1] = Jean Dubois (& all.) Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage; p : 345.

[2] = Ibid ,p : 164.

[3] = R. Galisson ; D. Coste _ Dictionnaire de didactique des langues ;p :176.

والحروف المتصلة: (cursive) والحروف المنفصلة: (script) فتُسمى (allographe) [1].

ويتعيَّن على اللساني أن يكون على دراية تامة بهذا التفريق، لكي لا يلتبس عنده أحد الجانبين بالآخر، قال الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: "...ينبغي للمُبتَدِئ الذي يخوض في هذا العلم - لأوَّل مرة - أنْ ينتبه إلى التباس خطير جدا، ربما أفسد عليه كلَّ المعلومات، التي سيحصل عليها فيما بعد، وهو عدم الفرق بين الحروف الصوتية (segments sonores)، والحروف الخطِّية (segments graphique)، وهو الفرق بين الصوت اللغوي، وبين ما يقوم مَقامه ويمثله من الرموز الخطية، فالأول هو الأصل، لأن الكتابة – كما قال العرب - تابعةٌ للفظ، لأنها رموز له، والصوت اللغوي هو الذي بُنِيَت عليه الكتابة الهجائية، فكان يجب أن تُناسبه مُناسبة تامه..." [2]. وبذلك يتوجَّب على اللساني - عند التحليل - أن يتعامل مع أصوات اللغة، لامع الرموز الخطية التي تُمثِّلها، إلا إذا كانت هذه الأخيرة موضوعاً لدراسته في حالات خاصة.

غير أن اللسانيين لاحظوا أن الكتابات الألفبائية لمعظم اللغات – وبدرجات متفاوتة - لا تمثل النطق تمثيلا دقيقا، فهناك تفاوتٌ جَلِيٌ بين ما يُنطَق، وبين ما يُكتَب، إذ تظهر في الكتابة رموزٌ خطية، يقتضيها نظام الكتابة، ولكنها لا تُنطق، كما أن هناك أصواتاً تُنْطَق ولا تُكتب. ومن هنا فكَّروا في وضع **الكتابة الصوتية العالمية**، وهي:" استعمال رموز خاصة لتمثيل الأصوات اللغوية تمثيلا دقيقاً..." [3]. وهذه الكتابة صالحة لتمثيل لغات العالم، وهي نوعان:

---

[1]= يُنظر: عبد الرحمان الحاج صالح - قاموس اللسانيات (مخطوط) ص: 4، 31.

[2]= عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 50.

[3]= سامي عياد حنّا وزميلاه - معجم اللسانيات الحديثة :إنكليزي عربي، ص: 94.

كتابة صوتية واسعة، تمثل الوحدات الصوتية للغة، وكتابة صوتية ضيِّقَة، تمثل الوجوه الصوتية أو الفروع، التي تندرج تحت الوحدة الصوتية الواحدة.[1].

ثانيا: الوحدة الصوتية والصوت عند الصوتيين الغربيين: يُفرِّقُ الصوتيون الغربيون – وخاصة أصحاب "مدرسة براغ " – بين مفهومي: **الفونيم** (le phonème)، **والصوت** اللغوي المحقَّق في واقع الكلام (le son) أو (le phone) أو (l'allophone)، **فالفونيم** هو :"...الوحدة الصوتية الدُّنيا في التمثيل الصوتي لخطابٍ ما، غير القابلة للتَّقطيع، المحدَّدة بمجموعة من الصفات التَّمييزية..." [2]، وعرَّفه بودوان دو كورتناي **(Baudouin de Courtenay)** بأنه: "المعادِل النَّفْسي (الذِّهني) للصوت اللغوي" [3]. وبذلك **فالفونيم** أو **الوحدة الصوتية** "...ليست في ذاتها صوتا، إنما هي كِيَان مُجرَّد، فحرف الجيم مثلا في العربية هو جملة الصفات الذاتية التي يتحدَّد بها، ويتميَّز بها عن غيره..." [4]. أما **الصوت** فيُطلق على " كل التحقيقات المحسوسة للوحدة الصوتية (الفونيم) المتنوِّعة تَبَعاً للسياق الصوتي، أو للمتكلم، أو للشروط العامة للكلام..."[5]. وهذا التمييز ناتج – كما يرى الباحثون – عن فصل "سوسور" بين اللسان باعتباره نظاماً، وبين الكلام باعتباره تأدية لذلك النظام[6]. وبذلك تنتمي الوحدة الصوتية إلى اللسان، في حين ينتمي الصوت إلى الكلام.

---

[1]= نفس المرجع السابق، ص: 67، 94 – 95.

[2]= Jean Dubois (& all.) Dictionnaire de linguistique et de science du langage; p : 359.

[3]= N.S.Troubetzkoy-Principes de Phonologie, traduit par J. Cantineau, p; 41.

[4]= عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج:2، ص: 243.

[5]= Jean Dubois (& all.) – Dictionnaire de linguistique et de science du langage; p : 359.

[6]= عبد الرحمان الحاج صالح – بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج:2، ص: 243.

ويتبين مما سبق أن الفونيمات أو الوحدات الصوتية في أية لغة، هي وحدات مجرَّدة، يكون عددها محدوداً، ولها وظيفة تمييزية بين دوال تلك اللغة، لأن استبدال إحداها بالأخرى يؤدي إلى الانتقال من معنى إلى معنى آخر، مثل استبدال القاف دالاً في كلمتي: **"قام"** و**"دام"** أو استبدال الـ:(p) بالـ:(b) في كلمتي :(pas) و (bas) [1]. والعِلْم الذي يدرسها هو **علم الأصوات الوظيفي** أو **الصوتيات الوظيفية** (la phonologie). أما **الأصوات** فهي قِطَعٌ مادية محسوسة، يمكن إدراكها بحاسة السمع، وتسجيلها بواسطة الأجهزة الخاصة، واختبارها في المخابر الصوتية، وبذلك فهي غير محدودة، والعلم الذي يدرسها هو **علم الأصوات** (la phonétique).

ثالثا: اللفظ والكتابة عند اللسانيين العرب القدامى: عندما نعود إلى مصادر التراث العربي، وخاصة في مجال الصوتيات العربية، نجد أن اللسانيين العرب يُفَرِّقون بصورة واضحة بين **مجال النُّطق**، الذي يُسمُّونه أحيانا **اللفظ**، وبين **مجال الكتابة**، الذي يُطْلِقون عليه لفظ **الكتاب** (مصدراً للفعل كَتَبَ) أو **الخط**، ويجعلون النطق أصلا، والكتابة فرعاً عنه، وهذا عند المتقدمين منهم والمتأخرين على حدٍ سواء، فمن المتقدمين نذكر - على سبيل المثال لا الحصر- مكي بن أبي طالب (ت:437هـ)، الذي قال - بعد أن ذكر حروف اللغة العربية التسعة والعشرين - "... وكُلُّ الحروف المذكورة له **صورة في الخط**، يُعْرفُ الحرف بها اصطلاحا مُتَّفَقاً عليه..." [2]. فقد بيَّن أن وظيفة الرموز الخطية هي تمثيل الحروف المنطوقة، وأنها ناتجة عن اصطلاحٍ مُتَّفَقٍ عليه بين مُستعْمِلي الكتابة. كما أنهم يُقدِّمون غالبا الوجه المنطوق على الوجه المكتوب، باعتباره أصلاً، وهو ما نجده عند الجاحظ (ت: 255ه)، عندما تحدث عن أدِلَّة المعاني

[1]= يُنظر: ـ مصطفى حركات – الصوتيات والفونولوجيا، ص: 24، 27.

[2] = مكي بن أبي طالب – الرعاية، ص: 95.

فقال: "... وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظٍ وغير لفظٍ خمسةُ أشياء لا تنقص ولا تزيد : أوَّلُها **اللفظ**، ثم الإشارة، ثم العَقْدُ، ثم **الخط**، ثم الحال التي هي نُصْبَه، والنُّصْبة هي الحال الدالة، التي تقوم مَقام تلك الأصناف، ولا تَقْصُرُ عن تلك الدلالات..." [1]. فقد جعل الجاحظ اللفظ في المنزلة الأولى، وأهم ما يُبين عن المعاني، ثم ذكر الإشارة، كأنْ يُشير المتكلم بجارحة من جوارحه، كاليد أو الرأس أو العين إلى معنى من المعاني، وقديما قالوا : رُبَّ إشارةٍ أفصحُ مِن عبارة. ثم العَقْد أي الحساب، لأن الحاسب كان يعْقِد أطراف أصابعه أثناء العَدِّ، ثم ذكر الخط وهو الكتابة أو التدوين، ثم ذكر النُّصبة التي هي هيئة الشيء، وحالته التي هو عليها، وقد قالوا: رُبَّ حالٍ أفصحُ من مقال. وبذلك فاللفظ مُقدَّم على الخط عند الجاحظ، وعند غيره من اللسانيين العرب، باعتباره الأصل. وهذا الاختلاف بين الوضعين وضَّحه أيضاً علي بن سيده الأندلسي (ت:458ه) بقوله:"...وعلى ذلك اختلفتْ **أقلام** ذوي اللغات، كما اختلفت **أنْفُسُ الأصوات** المترتِّبة على مَذاهبهم في المواضَعات، واختلفت **الأشكال المرسومة**، على حدِّ اختلاف **الأصوات الموضوعة**..." [2]. ونجدهم في سياقات كثيرة يقابلون بين المصطلحين، للدلالة على اختلاف المفهومين، قال ابن قتيبة (ت:276ه): "...وإذا أمَرْتَ مِن مِثل: "وَعَيْتَ الحديثَ"، و"وَقَيْتُكَ بنفسي"، و"وَشَيْتَ الثَّوْبَ" زِدْتَ هاء في **اللفظ** إذا وقفْتَ، وهاء في **الكتاب**، فتَكْتُبُ "عِهْ كلامي"، و "قِهْ زَيْداً بنفسِك" و "شِهْ ثَوْبَكَ"، لأنه لا تكون كلمَةٌ على حرفٍ واحدٍ..." [3].

ومن المتأخرين الذين بيَّنوا علاقة الوجه المنطوق بالوجه المكتوب في اللغة العلَّامة عبد الرحمان بن خلدون (ت:808 ه)، الذي عرَّف الكتابة وجعلها في المرتبة الثانية بعد اللفظ (النطق)، فقال:"... وهي **رُسومٌ وأشكالٌ** حرفية، تدل

---

[1] = الجاحظ – البيان والتبيين، ج:1، ص: 76.

[2] = ابن سيده – المخصص، ج:1،ص: 5.

[3] = ابن قتيبة – أدب الكاتب، ص:210.

على **الكلمات المسموعة**، الدَّالة على معاني النَّفس، فهو ثاني رُتبة في الدلالة اللغوية..." [1]. ثم بيَّن ابن خلدون بعد ذلك أن نظام الحروف المنطوقة (النظام الصوتي للغة)، ونظام الحروف المكتوبة (نظام الكتابة) كلاهما وضْعٌ خاص، يختلف من لغة إلى أخرى، تَبَعاً لاختلاف الاصطلاح، فقال: "... وليست الأُمَمُ كلُّها متساويةً في النطق بتلك الحروف، فقد يكون لأُمَّةٍ من الحروف ما ليس لأُمَّةٍ أخرى ... ثم إنَّ أهل **الكتاب** من العرب اصطلحوا في الدلالة على **حروفهم المسموعة** بأوْضاعِ **حروفٍ مكتوبة**، مُتَمَيِّزة بأشخاصها، كوضع ألف وباء وجيم وراء وطاء ... وإذا عَرَض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم، بقي مُهْمَلا عن الدلالة الكتابية، مُغْفَلاً من البيان، وربما يرسمه بعض الكُتَّاب بشكل الحرف الذي يَكْتَنِفُهُ من لغتنا قبله أو بعْده، وليس بكافٍ في الدلالة، بل هو تغيير للحرف من أصله..." [2]. ويتضح من قول ابن خلدون: **"حروف مسموعة"** في مقابل **"حروف مكتوبة"** أنه يضع في الحسبان الفرق بين **مستوى المنطوق** وبين **مستوى المكتوب**، عند دراسة اللغة وتحليل ظواهرها. غير أن الملْفِت للنظر هو أن ابن خلدون – كغيره من علماء اللغة العربية – يُطلِق مصطلح **"حرف"** على المفهومين معاً، على الصوت اللغوي، وعلى الرمز الخطي.

وقد خلصوا بعد ذلك إلى تعريف كُلٍّ من اللفظ والكتابة، فقالوا: "...**اللفظ** صوت يعتمد على المخارج من حرفٍ فصاعدا..." [3]. أو هو"...ما يتلفَّظ به الإنسان أو في حكمه، مُهملا كان أو مُستعملاً..." [4]. كما عرّفوا الخط بأنه:

---

[1]= ابن خلدون – المقدمة، ص: 432.

[2]= نفس المصدر السابق، ص: 42، 43.

[3]= التهانوي – الكشاف،ج:4، ص: 79.

[4]= الشريف الجرجاني – التعريفات،ص:203.

"تصوير اللفظ بحروف هجائه"[1]. وأدركوا أن كُلاًّ من اللفظ والكتابة له ضوابطه الخاصة لأنه وضع خاص، إذ ليس كل ما هو موجود في اللفظ يظهر في الكتابة، كما أنه ليس كل ما يُكتب خَطاً يظهر نُطقاً، وقد يتطابقان. فمن الزيادة التي تظهر في الكتابة، زيادةُ الواو في اسم العَلَم "عَمْرو"، للتفريق بينه وبين اسم "عُمَر"، قبل أن تظهر علامات الشكل المعروفة في عصرنا هذا، ومن النَّقص حذف الألف التي بعد الهاء في كلمة "هذا"، لغاية اقتضاها نظام الكتابة، ومن التطابق بين النطق والكتابة قولنا :"زيد".

وهذا ما بيَّنه اللسانيون العرب القدماء، المتقدمون منهم والمتأخرون على حدٍ سواء، قال ابن قتيبة (ت: 276 ه): "... الكُتَّابُ يزيدون في كتابة الحرف ما ليس في وزنه، ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشْبِهِ له، ويُسقطون من الحرف ما هو في وزنه، استخفافاً واستغناء بما أُبقِي عمَّا أُلقِي، إذا كان في الكلام دليل على ما يحذفون من الكلمة..."[2]. وقال الجاربردي (ت:746 ه) مُتَحدِّثا عن الخط:"...فإنه ليس جارياً على اللفظ، فإنه قد يُحذف من الكتابة ما يثبُت في اللفظ، وقد يُزاد في الكتابة ما لم يُتلفَّظ به..."[3].

ومن هذه النصوص يتضح بجلاء أن اللسانيين العرب أدركوا تمامَ الإدراك الفرق بين الوجه المنطوق وبين الوجه المكتوب، لا في اللغة العربية وحدها، بل في لغات أُخرى كانوا يعرفونها، كما أدركوا أن العلاقة بين هذين الوجهين هي علاقة أصالة وفرعية، فالوجه المنطوق هو الأصل والوجه المكتوب فرع عليه، وأنَّ كلاً منهما وضْعٌ قائمٌ بذاته، له ضوابطه الخاصة به، وهذا خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين، الذين أوردنا آراءهم في مقدمة هذا المقال. وقد أطلق

---

[1]= نفس المصدر السابق، ص: 103. وانظر: الرضي الاستراباذي – شرح الشافية،ج:3، ص: 214.

[2]= ابن قتيبة - أدب الكاتب، ص: 182.

[3]= الجاربردي - شرح الشافية،ج:1،ص: 371.

اللسانيون العرب قديما مصطلح **"حرف"** على الصوت المنطوق، وعلى الرمز الخطي على سبيل الاشتراك، لأن كُلاً منهما طرَفٌ في بابه، **فالحرف** طرف في الكلمة المنطوقة، لأنه قطعة صوتية منها، و**الحرف** طرف في الكلمة المكتوبة، لأنه أحد رموزها الخطية، ومن المعاني اللغوية لكلمة "حرف" -كما سنرى - الطرف والناحية والشِّق والحافة.[1].

رابعا: الوحدة الصوتية والصوت عند اللسانيين العرب القدامى: مثلما فرَّق اللسانيون العرب بين جانبي النطق الكتابة في تحليلاتهم اللسانية، عرفوا أيضا التفريق بين مفهومي الوحدة الصوتية، والصوت المادي المحقَّق في الكلام، وهو ما نجده كذلك عند المتقدمين منهم والمتأخرين على حدٍ سواء. فمِمَّا نجده عند المتقدمين تمييز سيبويه (ت: 180ه) بين الحروف الأصول والحروف الفروع بقوله: "هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها. **فأصل** حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً..." [2]. ثم عدَّدَها من أول حرف وهو الهمزة إلى آخر حرف وهو الواو. ومن خلال كلام سيبويه نفهم أنه يقصد **بالحروف الأصول** الوحدات أو العناصر الصوتية، التي بُني عليها كلام العرب، وتعود إليها كل التفرُّعات الأدائية بدليل أنه ضبط عَدَدَها، وبيَّن أنها مختلفةٌ متمايزةٌ فيما بينها، مما يدل على إدراك سيبويه للوظيفة التمييزية لهذه الوحدات الصوتية، التي سماها **"حروفا"** كذلك، وهذا ما فهمه مَن جاء بعده من العلماء حقَّ الفهم، مثل ابن سينا (ت: 428ه)، عندما عرَّف الحرف بقوله:"... والحرف هيئةٌ للصوت عارضةٌ له، يتميَّز بها عن صوت آخرَ مثله في الحِدَّة والثِّقلِ، تميُّزا في المسموع..." [3]. قال الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح ـ في تعليقه على كلام ابن سينا ـ "... هذا التحديد

---

[1]= ابن منظور - لسان العرب، ج:2، مادة (ح،ر،ف)، ص: 62 وما بعدها.

[2]= سيبويه - الكتاب،ج:4،ص: 431.

[3]= ابن سينا - أسباب حدوث الحروف، ص: 60.

يؤكد أن وظيفة الحروف في الخطاب هي التمييز بين المعاني، بتمايزها بعضها عن بعض..." [1]. وقد أدرك هذه الحقيقة أيضا علماء القراءات ومنهم مكي بن أبي طالب (ت: 437ه) حين قال: "... فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها، وأحكامها وطباعها التي خلقها الله - جَلَّ ذِكْرُه - عليها ما فُهم الكلام، ولا عُلِم معنى الخطاب، ولكانت الأصوات ممتدَّةً، لا تُفهم من مخرج واحدٍ وعلى صفة واحدة، كأصوات البهائم..." [2].

ومعنى ذلك أننا إذا استبدلنا حرفاً من هذه الحروف الأصول تغيَّر المعنى، مثل استبدال الغين بالهاء في: **ذَغَمٌ /ذَهَمٌ**، الذي يؤدى إلى التحوُّل من معنى إلى معنى آخر. وهذه الحروف الأصول عند سيبويه، هي التي سماها ابن جني **"حروف المعجم"**، وسماها غيره **"حروف المباني"**، قال ابن جني: "... اِعلمْ أن أصول **حروف المعجم** عند الكافة تسعةٌ وعشرون حرفاً، فأولها الألف وآخرها الياء..." [3]. وهذه الحروف الأصول هي التي يُعطَى لكل حرف منها رمزٌ خطي في مستوى الكتابة، لأن الكتابة الألفبائية تمثل الحروف الأصول باعتبارها معدودة، ولا تمثل الفروع باعتبارها كثيرة وغير معدودة، وهذا من باب الاقتصاد في عدد رموز الكتابة، وهو مبدأ من مبادئ وضع الألفبائيات في كل اللغات.

وأما **الفروع** عند اللسانيين العرب، فهي ما يتفرع عن تلك الأصول من تأدياتٍ مختلفة ومتنوعة وهي عُدولٌ خفيفٌ عن الأصل، لأن هذه التنوعات لا تخرج عن الملامح العامة للحرف، قال سيبويه: "... وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هُنَّ **فروع**، وأصلُها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يُؤخَذ بها وتُسْتَحْسَنُ في قراءة القرآن والأشعار، وهي النون الخفيفة، والهمزة التي بيْنَ بيْن، والألف التي تُمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصَّاد التي تكون

[1]= عبد الرحمان الحاج صالح - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج:2،ص: 178.

[2]= مكي بن أبي طالب - الرعاية، ص : 143.

[3]= ابن جني - سر الصناعة، ج:1، ص: 55.

كالزاي، وألف التفخيم يعني بلغة الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة ... وهذه الحروف التي تممْتُها اثنين وأربعين، جيِّدها ورديئها، أصلها التسعة والعشرون، لا تُتَبيَّن إلا بالمشافهة..." [1].

فهذه الفروع التي أطلق عليها سيبويه مصطلح "**حرف**" أيضا هي -كما يظهر من أمثلته - تأديات مختلفة للحروف الأصول، بدليل أن الانتقال من فرع إلى فرع، لا يترتب عليه تغيير في المعنى، فلا يتغير المعنى مثلا في الانتقال من الهمزة المحقَّقة في: (**يُؤْمِنُ**) إلى الهمزة المخفَّفة في :(**يُومِنُ**)، ولا يتغير المعنى في الانتقال من اللام المفخَّمة في لفظ الجلالة (الله) إلى اللام المرققَّة في سياق صوتي آخر للكلمة نفسها كما في: (**لِلَّه**)، لأنهما فرعان أو تأديتان لأصل واحد، هو حرف اللام. فهذه الفروع إذن مُنْبَثِقَةٌ من الحروف الأصول، ولكنَّها عرفَتْ في الاستعمال نوعاً من العُدول عن الأصل، جعلها تختلف تأدياتها وتتنوع فيما بينها، دون أن تفقد صلتها بالأصل. قال الدكتور غانم قدوري الحمد:"...وقول سيبويه إن الحروف الفرعية لا تُتَبَيَّنُ إلا بالمشافهة يُشير إلى إدراك علماء العربية أن هذه الأصوات تنوُّع مَوْقِعيٌّ أو لَهَجِيٌّ لأصوات العربية وأنها لا تُؤدي إلى تغيير معاني المفردات، ومن ثمَّ لم يُخَصَّص لها في الكتابة الهجائية رموزٌ مستقلَّة..." [2].

وقد وضَّح ابن يعيش (ت: 643ه) سببَ تسميتها بالفروع بقوله: "... وإنما كانت هذه الحروف **فروعاً**، لأنهنَّ الحروفُ التي ذكرناها لا غيرُهن، ولكن أُزِلْنَ عن مُعْتَمَدِهنَّ، فتغيَّرتْ جُروسُهنَّ..." [3]. هذا على مستوى النطق، أما على مستوى الكتابة، فإن هذه الفروع لا تُسجِّلها الكتابة العادية، أو لا يضبطُها الخط، لأنه موضوع لتمثيل الحروف الأصول لا غير، ولهذا قال سيبويه: "لا تُتَبَيَّنُ إلا بالمشافهة". ومِن هنا وَضَع لها النحاة مثل الخليل بن أحمد، وعلماء القراءات -

[1] = سيبويه - الكتاب، ج:4، ص:432.

[2] = غانم قدوري الحمد - المدخل إلى علم أصوات العربية، ص: 73.

[3] = ابن يعيش - شرح المفصل، ج:10، ص: 126.

في رسم المصحف - علاماتٍ خاصة تُشير إليها، وهي أشبه بالكتابة الصوتية الحديثة مثل: تَرْكِ رسم صورة الهمزة المخفَّفَة، وإثباته في الهمزة المحقَّقَة (**قرأ - قرا**)، للدلالة على كيفيتين في تأدية هذا الحرف، وكذلك وضْعُ نقطة باللون الأحمر فوق الحرف الحامل للهمزة - عند علماء القراءات - للدلالة على كيفية التخفيف، ونقطة باللون الأصفر للدلالة على كيفية التحقيق[1].

هذا وقد بَيَّن أستاذنا عبد الرحمان الحاج صالح أن هذه الفروع يُسمِّيها الجاحظ "**مَخارج**"، جمعُ مَخْرَج، بمعنى الخروج، فهو مَصْدَر ميمي للفعل أَخْرَجَ، لا بمعنى مكان أو موْضِع الخروج[2]. قال الجاحظ:"...فأما اللثغة التي هي على الشين المعْجَمة، فذلك شيءٌ لا يُصوِّرُه الخط، لأنه ليس من الحروف المعروفة، وإنما هو مَخْرَجٌ من المخارج، والمخارجُ لا تُحصى ولا يُوقَفُ عليها، وكذلك القول في حروفٍ كثيرة من حروف لغات العجم..."[3].ثم عَلَّقَ الأستاذُ عبد الرحمان الحاج صالح على قول الجاحظ السابق بقوله: "...فهذه ملاحظاتٌ تُطابق ما يقوله العلماءُ المحدثون في علم الفونولوجية، فهم يُميِّزون بين الفونيم، وبين التَّنوُّع من الأصوات، التي يُؤدِّي بها الناطقون هذا الفونيم الواحد في لغة مُعَيَّنه..."[4].

ومما يدل أيضا على تفريق اللسانيين العرب بين مفهومي الوحدة الصوتية المجرَّدة وبين الأصوات التي تتفرع عنها، أنهم قد يستعملون مصطلح "**الحرف**" بمعنى الفونيم إلى جانب مصطلح "**الصوت**"، بمعنى التأدية الفرعية في سياق واحد، وهذا ما نجده عند ابن يعيش (ت:643ه) في قوله: "... والشِّدَّةُ أنْ

---

[1]= عبد الرحمان الحاج صالح - السماع اللغوي العلمي ومفهوم الفصاحة، ص: 393 - 394. وانظر: أبا عمرو الداني– المحكم في نقط المصاحف، ص:90 – 100.

[2]= عبد الرحمان الحاج صالح - السماع اللغوي ومفهوم الفصاحة، ص: 191، هامش: 40.

[3]= الجاحظ - البيان والتبيين،ج:1،ص: 34.

[4]= عبد الرحمان الحاج صالح - السماع اللغوي ومفهوم الفصاحة، ص: 191.

يَنْحَصِرَ **صوتُ الحرفِ** في مَخْرَجِه فلا يجري، والرَّخاوة بخلافها..." [1]. ففي قوله: "صوت الحرف" دليل على وجود مفهومين، هما : الأصل (الحرف) والفرع (الصوت)، وإن كانوا قد أُطلقوا عليهما مصطلح "**الحرف**" في سياقات أُخرى، كما أُطلقوه على مفاهيم أُخرى سنرى أهمها فيما يلي.

خامسا: مصطلح "الحرف" وتعدُّد المفاهيم عند اللسانيين العرب: لاحظنا سابقا أن مصطلح "**الحرف**" عند اللسانيين العرب يدل - بالاشتراك - على عدة مفاهيم، يدل على الوحدة الصوتية وعلى الرمز الخطي، وعلى الصوت المحسوس، والحقيقة أن هذا الاشتراك الاصطلاحي عندهم قد نص عليه بعض العلماء قديماً وحديثاً. فمن القدماء نذكر تقي الدين أحمد بن تيمية (ت: 728ه)، الذي قال :"...وأيضاً فلفْظُ الحروف مُجْمَل، يُراد به الحروف المنطوقة المسموعة التي هي مباني الكلام، ويُراد به الحروف المكتوبة، ويُراد به الحروف المتَخيَّلَة في النفس..." [2].

ومن المحدَثين الذين ذكروا مسألة اشتراك مصطلح "**حرف**" في الدلالة على عدة مفاهيم الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، عندما قال :"...والدليل على ذلك هو استعمال سيبويه للفظة "**حرف**" للدلالة على أصوات اللغة، وصُورها الكتابية – وهي عناصر غير دالة – وكذلك للدلالة على الكلمة، وهي عنصر من العناصر الدالة..." [3]. وسنحاول في ما يلي – بعد أن نتعرف على المعنى اللغوي - أن نحصر أهم المفاهيم، التي يدل عليها هذا المصطلح عندهم.

1= المعنى اللغوي: جاء في لسان العرب: "... والحرف في الأصل الطَّرَفُ والجانِب،... وحَرْفا الرأس شِقَّاه، وحرْفُ السفينة والجبل :جانِبُهما، والجمْعُ

---

[1]= ابن يعيش - شرح المفصل، ج: 10، ص:457.

[2]= ابن تيمية - مجموع الفتاوى، مج:12،ص:69. وانظر أيضا: - ثلاثة كُتب في الحروف للخليل وابن السكيت والرازي، ص: 147.

[3]= عبد الرحمان الحاج صالح - منطق العرب في علوم اللسان، ص: 70.

أحرُفٌ وحروف، وحِرَفه... الجوهري: حرف كُلِّ شيءٍ طرَفُه وشَفيرُه وحَدُّه، ومنه حرف الجبل وهو أعلاه المحدَّد ... وحرفُ الشيءِ ناحيتُه، وفلان على حرف من أمره أي ناحيةٍ منه... إذا رأى شيئا لا يُعجبه عدَل عنه، وفي التنزيل العزيز (ومِن النَّاس مَن يَعْبُدُ اللّهَ على حَرْفٍ)، أي إذا لم يَرَ ما يُحبُّ انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبده على السَّراء دون الضرَّاء..." [1].فالمعنى اللغوي لِما كان من مادة (ح،ر،ف) هو الطَّرَفُ والجانب، أو الشِّقُّ والناحية، فحرفُ كُلِّ شيءٍ طرفُهُ وناحيتُهُ [2].

2= من المعاني الاصطلاحية : استُعمل مصطلح **"الحرف"** في تراثنا ليدل على مفاهيم مختلفة سنعرض لأهمها فيما يلي:

أ: الحرف بمعنى القراءة القرآنية، أو أحد وجوهها: وهذا ما نجده عند علماء القراءات خاصة، فقد استعملوا **"الحرف"** بمعنى القراءة تارة، وبمعنى الوجه من القراءة تارة أخرى، فمن استعمالهم **"الحرف"** بمعنى **"القراءة"** ما نجده عند مكي بن أبي طالب (ت:437ه) في قوله: "...فأما قول الناس: قرأ فلان بالأحرف السبعة، فمعناه أنَّ قراءة كُلِّ إمام تُسمَّى حرفاً، كما يُقال: قرأ بحرف نافع، وبحرف أُبَي، وبحرف ابن مسعود، **وكذلك قراءة كُلِّ إمام تُسمَّى حرفاً**..." [3]. وقال ابن جني (ت: 392ه): "...ومن هذا قيل: فلانٌ يقرأُ بحرف أبي عَمْرو وغيره من القُرَّاء، وذلك لأن الحرف حدُّ ما بين القراءتين وجِهَتُه وناحيتُه..." [4].ومن استعمالهم مصطلح **"الحرف"** بمعنى **"الوجه من القراءة"** قول ابن القاصح (ت:801ه): "...والمرادُ بالحرف هنا ما وقع الاختلاف فيه بين القراء

---

[1]= ابن منظور – لسان العرب، ج: 2، مادة (ح،ر،ف)، ص: 62 وما بعدها.

[2]= ابن جني – سر صناعة الإعراب،ج:1،ص:28. وانظر: الكفوي – الكليات، ص: 393.

[3]= مكي بن أبي طالب – الإبانة، ص: 41، وانظر: عبد العلي المسؤول – معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، ص: 171.

[4]= ابن جني – سر الصناعة، ج:1، ص:29.

من كَلِمِ القرآن، سواء كان حرفا في اصطلاح النحويين، أم اسما أم فعلا..." [1].
وقال ابن منظور:"...وكُلُّ كلمةٍ تُقرأُ على الوجوه من القرآن تُسمَّى حرفاً..." [2].

ب: الحرف بمعنى الكلمة أو العنصر الدال: وهذا ما نجده عند النحاة خاصة، قال سيبويه (ت:180ه) :"...هذا بابُ ما يجري – مما يكون ظرفاً – هذا المجرى، وذلك قولك: يومُ الجمُعةِ ألقاك فيه، وأقلُّ يومٍ لا ألقاك فيه، وأقل يومٍ لا أصوم فيه...فصارت هذه **الأحرف**، ترتفع بالابتداء كارتفاع عبد الله..." [3]، فالأحرف هنا بمعنى **الكلمات** أو الألفاظ الدالة على معنى إفرادي، بدليل أن سيبويه أطلق هذا المصطلح على كلمة "يوم"، وهي من الأسماء. كما أطلقه أيضا على **حرف المعنى**، باعتباره عنصراً دالا أيضاً، قال :"...وذلك أن من **الحروف حروفاً** لا يُذْكرُ بعدها إلاَّ الفعل، ولا يكون الذي يليها غيرُه، مُظْهَراً أو مُضْمَراً، فمِمَّا لا يليه الفعلُ إلاَّ مُظهَراً : قدْ، وسوف، ولما، ونحوهنَّ..." [4].

ج: الحرف بمعنى الأداة أو حرف المعنى: وهذا ما نجده عند النحاة المتأخرين خاصة، وهو ما نقله ابن منظور في قوله :"...و**الحرف** الأداة التي تُسمَّى الرابطة، لأنها تربط الاسمَ بالاسمِ، والفعلَ بالفعل، كـ: عن وعلى ونحوهما، قال الأزهري: كُلُّ كلمة بُنيتْ أداةً عاريةً في الكلام، لتَفْرقَةِ المعاني واسمها **حرف**، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل: حتّى، وهل، وبل، ولعلّ..." [5].
وقال الكَفَوي (ت:1094ه) عن إطلاق مصطلح حرف على حرف المعنى:

---

[1]= ابن القاصح – سراج القارئ المبتدئ، ص: 14.
[2]= ابن منظور – لسان العرب،ج:2، مادة (ح،ر،ف)، ص: 62.
[3]= سيبويه – الكتاب، ج :1،ص: 84.
[4]= نفس المصدر السابق،ج:1،ص:98.
[5]= ابن منظور – لسان العرب، ج :2،مادة (ح،ر،ف)،ص: 62 و ما بعدها.

"...وإطلاق الحرف على ما يُقابل الاسم والفعل عُرْفٌ جديد..." [1]. أي لم يكن معروفاً عند النحاة المتقدمين.

وهذا ما ذهب إليه أستاذنا عبد الرحمان الحاج صالح، عندما ذكر أن سيبويه أطلق مصطلح **"حرف"** على أقل عنصر لغوي دال على معنى (الكلمة)، أو أقل عنصر لغوي مما لا يدل على معنى (حرف المبْنَى)، ولم يطلق هذا المصطلح على حرف المعنى. وبيَّن أن عبارة سيبويه في بداية كتابه:"... فالكَلِمُ اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ، جاء لمعنى ليس باسم و لا فعل..." [2]، التي اختصرها النحاة المتأخرون في عبارة:" الكلام اسم وفعل وحرف" [3]، هي عبارة فُهِمَتْ على غير وجهها، الذي قصده سيبويه، قال:"...وعلى هذا فاختصار هذه الجملة المصدَّرَة في الكتاب على يد النحاة الذين ألَّفوا المختصرات (ابتداء من القرن الرابع) في قولهم: "الكلام اسم وفعل وحرف" هو تحريف خطير - كما قلنا -، بل وإجحاف، لأن سيبويه لم يُسمِّ هذا القسم الثالث من الكلم حرفاً، أي لم يُخصص هذا اللفظ كتسمية لحرف المعنى، لأن الحرف عنده هو أقلُّ ما يدل على معنى وهو الكلمة، أو أقل ما تُبنى عليه الكلمة، مما لا يدل على معنى..." [4].

ثم بين أستاذنا أن المراد من المعنى في قول سيبويه السابق، ليس هو المعنى المعجمي، الذي تفيده الكلمة كالدلالة على المسمَّى (إذا كانت اسما) أو الدلالة على الحدث (إذا كانت فعلا)، بل هو معناها النحوي فقط مثل: الاستفهام والنفي والتعريف وغيرها، قال:"...يُريد سيبويه من المعنى هنا، لا المعنى المطلق، أي ما يدل عليه اللفظ من مدلول أيّاً كان، بل المدلول النحوي فقط، ويختلف بذلك عن المدلول، الذي يختص به الاسم والفعل (وهما المسَمَّى

---

[1]= الكفوي - الكليات، ص: 393 - 394.

[2]= سيبويه – الكتاب، ج: 1، ص: 12.

[3]= ابن هشام - شرح القطر، ص:14.

[4]= عبد الرحمان الحاج صالح – منطق العرب في علوم اللسان، ص: 70، هامش:124.

والحدث)، فهذا الحرف يدل على المعرفة أو النكرة أو الاستفهام أو النفي أو الاستقبال أو التوكيد، وغير ذلك، فالمعنى الذي يجيء له هذا الحرف – عند سيبويه - هو من هذا القبيل، ولا يجيء إلا له..." [1].

والسبب في إيراد سيبويه لهذه العبارة الاحترازية -كما يوضح الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح - هو أن بعض الأسماء والأفعال، تدل على معانٍ نحوية تماما مثل حروف المعنى، كدلالة : "متى" على الاستفهام، ودلالة " ليس" على النفي، قال:"...وقد تأتي بعض الأسماء، وبعض الأفعال للدلالة على معنى من معاني النحو، أي على ما يدل عليه هذا الحرف، ويُضيف سيبويه عند تحديده لحرف المعنى هذا الاستدراك -كما رأينا - "وليس باسم ولا فعل" لهذا السبب، وذلك مثل الأسماء المبنية التي ذكرناها (أينَ ومَتَى مثلا)، فهذه أسماء،لأنها تقع في مواقع الاسم، إلا أنَّ لها دوراً مثل دور هذا الحرف، أي تدل على معنى من معاني النحو، وكذلك هي الأفعال الناسخة، فلها دورُ حرفِ المعنى أيضاً..." [2].

د:الحرف بمعنى الصوت المُقَطَّع أو العنصر الذي يتألف منه الكلام: قال سيبويه: "... وإذا أردت أن تلفظ بحروف المعجم قَصَرْتَ وأسْكَنْتَ، لأنك لست تريد أن تجعلها أسماء ولكنك أردت أن **تُقَطِّع حروف الاسم**، فجاءت كأنها أصوات يُصَوَّتُ بها، إلا أنك تقف عندها، لأنها بمنزلة : عِهْ..." [3].وهكذا إذا قلنا: "با وتا وثا" بالمد، فنحن ننطق اسم الحرف، ولا نعني النطق بالحرف في حدِّ ذاته، فإذا قلنا: "اِبْ" بالقَصْر والإسكان قصدنا التَّهجي، أي النطق. فالمراد بالحروف عند سيبويه، العناصر غير الدالة التي تُبنى منها الكلم. وقال ابن جني شارحاً سبب تسمية الأصوات بالحروف:"...ومن هنا سُمِّيت حروف المعجم **حروفاً**، وذلك أن

---

[1]= نفس المرجع السابق، ص: 71.

[2]= نفس المرجع السابق، ص:71.

[3]= سيبويه - الكتاب، ج :3،ص: 265.

الحرف حَدَّ مُنْقَطَع الصوت، وغايَتُهُ وطرفُه، لأنها جهاتٌ للكلم ونواحٍ، كحروف الشيء وجهاته المحْدِقة به..." [1].

وإطلاق مصطلح **الحروف** على العناصر التي تُبنى منها الكلمة (حروف المبنى) في المجال الصوتي هو الأصل لأنهم - حينئذ - يستعملون المصطلح وحده، دون تقييده بلفظة أو بعبارة، بينما إطلاقه على الوجه الأدائي أو على الرمز الخطي -كما سنرى لاحقاً - يكون غالبا بتقييده بلفظة أو بعبارة. ومصطلح الحرف هنا يطابق مصطلح الوحدة الصوتية أو **"الفونيم"** عند الغربيين في الدلالة على المفهوم ذاته، قال الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح: "...**فالحرفُ** في الوضع هو جنس من الأصوات، وليس صوتاً مُحصَّلاً مُعيَّنا، فالجيم كعنصر لغوي له وظيفة، وهي أن تتمايز معاني الكلم بوجوده أو عدمه، وهو عنصر صوري، ويُؤَدِّيه المتكلمون بكيفيات مُختلفة، وكُلُّ كيفيةٍ تُنْتِجُ صوتاً واحداً مُعيَّناً، مُغايراً - إلى حدٍّ ما - لأصوات الجيم الأخرى..." [2]. ومن هنا فإن إطلاق هذا المصطلح التراثي على هذا المفهوم أدق مما اختاره بعض الباحثين من المصطلحات مثل: الصَّوْتَم، والصُّويْتة...إلخ [3].

ه :**الحرف بمعنى الوجه الأدائي المُتَفَرِّع عن الأصل:** قال ابن جني عن الحروف الفرعية: "...ولا يصحُّ أمر هذه **الحروف** الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين، حتّى كمَّلتها ثلاثة وأربعين، إلا بالسمع والمشافهة..." [4]. فابن جني هنا لا يتحدث عن الوحدات الصوتية للغة العربية، وإنما يتحدث عن بعض الكيفيات والوجوه في تحقيق تلك الوحدات، والتي تُدرك بالسمع. واللسانيون

---

[1]=ابن جني - سر الصناعة، ج:1، ص: 28 - 29.

[2]= عبد الرحمان الحاج صالح - بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 196.

[3]= أنظر هذه المصطلحات في ما جاء عند : أحمد محمد قدور– مبادئ اللسانيات، ص: 142.

[4]= نفس المصدر السابق،ج:1،ص: 59.

العرب القدامى، إذا تحدثوا عن الحرف بهذا المفهوم يقيِّدونه بلفظة أو بعبارة، فيقولون: "الحروف الفرعية" أو "الحروف المستَحْسَنة"...إلخ.

و: الحرف بمعنى الرمز الخطي: قال الرضي الإستراباذي (ت:686ه): "...وإنما **كتبوا** المشَدَّدَ **حرفاً** في كلمة، للزوم جعْلهما في اللفظ كحرفٍ بالتَّشديد، فَجُعِلا في **الخط حرفا** لوجوب الإدغام بسبب تماثلهما..." [1]. يتحدث الرضي عن الحرفين المتماثلين، اللذين أُدغم أحدهما في الآخر، وتلفَّظ بهما المتكلم باعتبارهما صارا مثل حرفٍ واحدٍ مُشدَّدٍ، ويعلل تمثيلهما برمز خطي واحد على مستوى الكتابة، بالتلفظ بهما باعتبارهما صوتا واحدا مُشَدَّداً على مستوى النطق. وعبارتا "كتبوا المشَدَّد حرفا" و"فَجُعِلا في الخط حرفا" تدلان على أنه يطلق مصطلح "الحرف" ههنا على الرمز الخطي المكتوب، والملاحَظ هنا أن الرضي الإستراباذي يُقيِّد مصطلح **"الحرف"** بقوله :"فَجُعلا في الخط حرفا" [2].

ومما سبق يتبيَّن لنا أن الطرح الشائع لدى بعض المستشرقين، ومن تبعهم من الباحثين العرب، هو أن اللسانيين العرب القدامى لم يُفرِّقوا بين الوجه المنطوق والوجه المكتوب للغة، عند دراسة اللغة العربية، الأمر الذي جعل بعض المفاهيم – في نظرهم – مُلْتبِسة، مثل عدم تفريقهم بين مفهومي الوحدة الصوتية المجردة، والصوت اللغوي المحقق في واقع الكلام، وبين العنصر الصوتي والرمز الخطي الذي يمثله في الكتابة، ويرون أن التمييز بين هذه المفاهيم لم يُعرف إلا في الدراسات اللسانية الغربية الحديثة. ويستدلُّون على ذلك، بإطلاق

---

[1] = الرضي - شرح الشافية،ج:3،ص: 226.

[2] = وهذا ما وضحه الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في قوله: "...أما العرب قديما فما كان يشتبه عليهم هذا الأمر، وكلما أراد اللغوي منهم الجانب الخطي نبَّه على ذلك، وقال مثلاً: " أما صورة الحرف في الخط "، أو "هذا موجودٌ لفظاً وخطاً..." (بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص: 50 -51، هامش رقم :4).

اللسانيين العرب القدامى مصطلح" **الحرف**" على الصوت، وعلى الرمز الخطي في الوقت ذاته.

غير أن الرجوع إلى المصادر القديمة والتمعُّن في أقوال اللسانيين العرب القدماء - متقدميهم ومتأخريهم – يجعل هذه المزاعم تتهاوى أمام الحقائق العلمية، التي وصل إليها القدماء، فقد وجدنا أنهم ميَّزوا - بوضوح تام - بين النطق الذي سموه **اللفظ**، وبين الكتابة التي سموها **الخط**، لا في اللغة العربية فحسب، بل حتى في اللغات الأجنبية التي عرفوها، ونصُّوا على أصالة النطق وفرعية الكتابة، كما عرفوا أيضا الفرق بين مفهومي الوحدة الصوتية المجرَّدة، والصوت المسموع في الكلام، والرمز الخطي الذي يمثل الوحدات الصوتية دون الفروع، بصورة لا تختلف كثيراً عمَّا أثبتته اللسانيات الحديثة، وأطلقوا على هذه المفاهيم مصطلح "**الحرف**" على سبيل الاشتراك الاصطلاحي، وقد نبَّه العلماء والباحثون قديما وحديثا على اشتراك هذه المفاهيم في هذا المصطلح. فهو يدل في تراثنا اللساني على **العنصر اللغوي** عموما، وفي الصوتيات يُستَعمل – بالإطلاق ودون تقييده بلفظ أو عبارة مُحدِّدَه - ليدُلَّ على **العنصر الصوتي**، فإن أرادوا به **الوجه الصوتي** الفرعي، أو **الرمز الخطي** الكتابي قيَّدوه بما يُحدِّده، فقالوا: الحرف الفرعي أو الحرف المستَعْمَل، أو الحرف المكتوب، أو الحرف في الخط، للتمييز بين المفاهيم المتعددة، التي يدل عليها هذا المصطلح. مما يدل على أن المفاهيم كانت واضحة في أذهانهم، وإن اختاروا للدلالة عليها مصطلحاً واحداً.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: المصادر.

- **الإستراباذي** (رضي الدِّين محمد بن الحسن) (ت: 686ه) – شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محب الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط:1، 1426ه، 2005م.

- **ابن جني** (أبو الفتح عثمان) (ت:392ه) - سِرُّ صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ط:2،1428ه،2007 م.

- **ابن هشام** (أبو محمد عبد الله جمال الدين الأنصاري)(ت: 761ه) - شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط:13، دت.

- **ابن منظور** (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) (ت: 711ه) - لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط:1، 1997م.

- **ابن يعيش** (موفَّق الدين يعيش بن علي)(ت: 643ه) - شرح المفصل، طبع ونشر إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دط، دت.

- **ابن سيده** (علي بن إسماعيل) (ت:458ه) - المخصص دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان دط، دت.

- **ابن سينا** (أبو علي الحسين بن عبد الله)(ت:428ه) - أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، ويحي مير علم، تقديم ومراجعة الدكتور شاكر الفحام، وأحمد راتب النفاخ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط:1،1403ه، 1983م.

- **ابن القاصح** (أبو القاسم علي بن عثمان)(ت: 801ه) - سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، ضبط وتصحيح محمد عبد القادر شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2،1425ه، 2004م.

- **ابن قتيبة** (أبو محمد عبد الله بن مسلم)(ت: 276ه) - أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دط، دت.

- **ابن تيمية** (تقي الدين أحمد بن عبد الحليم) (ت: 728ه) - مجموع الفتاوى، مج:12 جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد قاسم، طبع مُجَمَّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، 1425ه، 2004م.

- **الجاحظ** (أبو عثمان عمرو بن بحر) (ت:255ه) – البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:7،1418ه، 1998م.

- **الجرجاني** (علي بن محمد الشريف) (ت: 816ه) – كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط:1،1985م.

- **الجاربردي** (أحمد بن الحسين بن يوسف) (ت: 746ه) – مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط:3، 1404ه، 1984م.

- **الداني** (أبو عمرو عثمان بن سعيد) (ت: 444ه) – المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط:2، 1418ه، 1997م.

- **الكفوي** (أبو البقاء أيوب بن موسى الحُسيني)(ت:1094ه) – الكليات، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:2، 1419ه، 1998م.

- **مكي** (أبو محمد بن أبي طالب القيسي) (ت:437ه) – الرعاية لتجويد القراءة وتحفيظ لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار،،عمان، ط:3، 1417ه، 1996 م.

- **سيبويه** (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) (ت: 180ه) – الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط:1، دت.

- **التهانوي** (محمد علي بن علي بن محمد) (ت: 1158ه) – كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط:2،1427 ه، 2006م.

- **الخليل بن أحمد الفراهيدي** (ت: 175ه) - ثلاثة كتب في الحروف للخليل وابن السكيت والرازي، تحقيق رمضان عبد التواب، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:2،1415ه 1995م.

- ثانيا: المراجع:

- **أحمد محمد قدور** – مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريه،ط:3، 1429ه، 2008م.

- **مصطفى حركات** - الصوتيات والفونولوجيا، دار الآفاق، دط، دت.

- **سامي عياد حنّا، وكريم زكي حسام الدين، ونجيب جريس** – معجم اللسانيات الحديثة إنكليزي – عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط:1،1997م.

- **عبد العزيز الصيغ** - المصطلح الصوتي في الدراسات القرآنية، دار الفكر، دمشق، ط:1،1421ه، 2000م.

- **عبد العلي المسؤول** - معجم مصطلحات علم القراءات القرآنية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط:1،1428ه، 2007م.

- **عبد الرحمان الحاج صالح** - بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج:2، موفم للنشر، الجزائر، 2007 م.

- (ـــــ) – بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر،2007 م.

- (ـــــ) – منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2007م.

- (ـــــ) - السماع اللغوي ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.

- (ـــــ) - قاموس اللسانيات (مخطوط).

- **تمام حسان** - اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط:5، 1427ه، 2006م.

- **خليل إبراهيم العطيه** – في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، دط، 1403ه. 1983م.

- **غانم قدوري الحمد** – المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، دط، 1423ه. 2002م.

-Dubois. Jean (et autres) –Dictionnaire de linguistique et des science du langue , Larousse. Paris : 1994.

- Galisson.R/Coste.D – Dictionnaire de didactique des langue, Hachette. Paris : 1976.
-Troubetzkoy.N.S – Principes de phonologie traduit par : J.Cantineau , Klincksieck. paris :1976.